اصدقاء الطفولة قتلى في الحروب

يوسف ابو الفوز:قاومت النظام الديكتاتوري بالسلام

قلت له بادئ الحوار أنه أجمل الاشخاص الذين حاورتهم أو سأحاورهم ،نفى ذلك و أكد لي أن ناظم حكمت سيغضب منه لو وافق على قولي ، فأجمل البحار هي تلك التي لم أرها بعد و أجمل الأطفال هم الذين لم يولدوا بعد..

يوسف أبو الفوز صحافي وكاتب عراقي مقيم في فنلندا ، عضو فخري نقابة الصحفيين في كوردستان العراق و عضو فاعل في نادي القلم الفنلندي ومنظمة كيلا الثقافية الفلندية ، تعرض للسجن والاعتقال والحصار لكنه رغم هذا بقي بقناعاته الإنسانية ولم يهتز..هو شخص يستحق فعلا أن تحاوره

حاورته : منى وفيق -المغرب

مدننا شاخت مع الدكتاتورية

❖لعل أول سؤال يتبادر إلى ذهني و أنا أحاورك ..هل اعترتك ولو رغبة صغيرة في العودة الى العراق منذ غادرتها قبل ٢٧ عاما؟

نا الان اعمل في المراحل الاخيرة لفلم وثائقي للتلفزيون الفنلندي سيعرض منتصف شهر ٦ ، احاول فيه تسجيل انطباعاتي عن زيارتي التي قمت بها في شهري ١٢.١١ / ٢٠٠٤

قبل ان اذهب كنت اعرف مسبقا اني ذاهب الى خراب ... من احتلال نظام ديكتاتوري الى احتلال اجنبي .. من ارهاب حكم البعث الفاشي إلى ارهاب و احتلال وتكفيريين وعصابات السرقة. كنت ذاهبا لترميم ذاكرتي فوجدت الشواهد غائبة. اصدقاء الطفولة والصبا بين قتلى في حروب لا ناقة ولا جمل لهم بها وبين شهداء على يد نظام دموي / قدمت امسية ثقافية في المدينة و كانت تحيط بي في القاعة صور الشهداء وغالبيتهم من اصدقائي

مدينتي الام / هي اوروك مدينة كلكامش / اسمها الحديث طبعا هو السماوة / / تلك المدينة الثائرة و التي بسبب بدوها يقال ان المتنبي حمل اسمه لانه اتهم بادعاء النبوة بينهم/ مدينتي السماوة وجدتها امراة عجوزا بلباس رث وحين تركتها كانت اجمل وابهى / المدن عادة تزداد فتوة لكن مع نظام ديكتاتوري مثل نظام صدام مدننا تشيخ!

– غادرت العراق صيف ١٩٧٩ لأسباب سياسية ، ترى لو لم تغادره ذاك الصيف أكنت تغادره في هذه الظروف العصيبة التي يعيشها هذا الوطن المنكوب؟

غادرت العراق في ١٩٧٩ الى الكويت واليمن الجنوبي وعدت الى كوردستان في شمال العراق مطلع عام ١٩٨٢ ، وعملت ضمن صفوف المقاومة المسلحة ضد نظام صدام حسين وبقيت هناك حتى نهاية ١٩٨٨ / وبالتاكيد لن اغادره الان لو كنت هناك فحالي حال الناس... ستسألين ما يمنع الان من العودة ؟

انا الان مسؤول عن عائلة وفي ظل الفوضى لابد من تأمين العائلة "سكن .. عمل.. " / حين زرت العراق ابديت استعدادي للبقاء والعمل لو توفر لي عمل مناسب ليساعدني على استئجار بيت على الاقل / انا من عائلة فقيرة / ابي عامل سكك لم يترك لنا سوى تاريخه المشرف وادوات عمله

اطفال الانفال

– بعد كل مامر من سنوات ، ألم تندم ولو لمرة لكونك انضممت لقوات الأنصار في كوردستان العراق ربيع ١٩٨٢ لمقاومة النظام الدكتاتوري؟ ايضا أخبرني ، أي إحساس تركته لديك حملة الإبادة المسماة بـ" الأنفال " التي كانت موجهة ضدك و ضد غيرك في صيف ١٩٨٨؟

من الاشياء التي افخر بها في حياتي اني قاومت النظام الديكتاتوري بالسلاح / وارجو ان لا يصير خلط في كلمة "الانصار" فهي لا علاقة لها بمنظمة "انصار الاسلام " / كلمة الانصار استخدمتها القوى الديمقراطية مرادف لكلمة بارتزان والاحزاب الكوردية يستخدمون كلمة بيشمركه .

عن جريمة الانفال صدر لي كتاب عن وزارة الثقافة الكوردية نهاية عام ٢٠٠٤ باسم "اطفال الأنفال " وفيه شهادتي عن هذه الجريمة المروعة التي هي جريمة ابادة شعب / جينوسايد حقيقي / واخترت في كتابي الاطفال الاكراد وسجلت قصصهم وحكاياتهم من خلال لقاءات مباشرة وحوارات في لهيب الاحداث

اعتقلت في استونيا بخداع المهربين!

❖ ما كانت أسباب اعتقالك في استونيا عام ١٩٩٤؟

في رحلة البحث عن سقف امن كان علينا التوجه وبشكل غير شرعي الى اوربا / حيث بعد فشل انتفاضة الشعب العراقي عام ١٩٩٠ تأكد للعراقيين ان النظام الديكتاتوري باق بسبب دعم الولايات المتحدة الامريكية له / هذا سبب خيبة للعراقيين ، انا كنت ضد " اللجوء " كنت اتمنى البقاء قريبا من العراق / بقيت في ايران عامين ولم احتمل ، في بلد عربي مجاور بقيت شهورا واضطررت للهروب الى روسيا / في روسيا قاومت حوالي عامين ونصف واخيرا اضطررت للقبول بالمر الا وهو اللجوء فتحركت بشكل غير شرعي / مضطرا / باتجاه السويد / لي هناك اخوان لكن مروري كان عبر استونيا / وضمن ملابسات كثيرة منها خداع المهربين لنا وقعنا بين ايدي السلطات الاستونية والى اخر القصة التي يوما ساصدر عنها كتابا ربما ، لاني احتفظ بارشيف هائل عنها.

– أنت عضو نقابة الصحفيين في كوردستان العراق ، كيف تقوم بمهامك وهل ترى أنك تخدم النقابة بشكل فعال؟

هذه عضوية فخرية منحتها النقابة كبادرة تكريم لمجموعة من الكتاب العراقيين العرب ممن ساندوا بالكلمة الصادقة والموقف حقوق الشعب الكوردي، وافخر بهذه العضوية واعتبرها كوسام وكتابتي في الصحافة الكوردية باللغة العربية ونشاطاتي الثقافية والدفاع عن الديمقراطية والفيدرالية هي خدمة لكل كوردي مخلص وللانسانية

❖ ماذا عن نادي القلم الفنلندي ومنظمة كيلا الثقافية الفلندية ، هل تقربنا قليلا من أجوائهما ودورك فيهما؟

كيلا.. وجذاذة الخشب

بحكم وجودي في فنلندا وبعد صدور ترجمة كتابي " طائر الدهشة " عام ٢٠٠٠ صارت لي علاقات طيبة في الوسط الثقافي / وانا بشكل عام اساهم في النشاطات الثقافية والسياسية ، والنشاط في بلد ديمقراطي ممكن لكل انسان فانتميت الى نادي القلم لاكون على مقربة من النشاطات الثقافية واما منظمة كيلا فهي منظمة ثقافية قريبة مني فكريا اكثر ، ومن خلال عملي معهم حاولت ان اقدم صورة جيدة عن المثقف العربي والثقافة العربية وان اثبت افكارا تهتم بحوار الحضارت ، ويبدو ان نشاطي ساهم في جعلهم ينتخبونني اخيرا لعضوية الهيئة الادارية لمنظمة كيلا ، التي تعتبر واحدة من اعرق المنظمات الثقافية ، وهي تجمع للكتاب والفنانين اليساريين ، تأسست في عام ١٩٣٦ ، بعد تحالف القيادة السياسية الفنلندية حينها مع الحكومة الالمانية واغلاقها الحدود الثقافية مع اوربا والعالم ، فأستعارت المنظمة اسمها من شققة الخشب المثلثة الصغيرة (في اللغة العربية الكلمة المناسبة ربما تكون جُذاذة) ، التي تتواجد في كل بيت فنلندي لتحافظ على باب البيت مفتوح دائما ، وليعمل اعضاء المنظمة بهذا المعنى ويجد لتعزيز التبادل الثقافي مع كل بلدان اوربا ومع مختلف الثقافات الانسانية. تضم المنظمة حاليا ٣٦٠ عضوا من مختلف الانواع الابداعية ، من كتاب نثر وشعراء وفنانين موسيقيين وتشكليين.

رحلة السندباد ورصد الخراب

❖ لك فيلم تلفزيوني وثائقي من إنتاج التلفزيون الفنلندي بعنوان " رحلة السندباد" ، حدثنا عنه

السندباد البحري وهو بالمناسبة عراقي / له سبع رحلات عجيبة غريبة / انا اعتقد ان العراقيين من احفاده قاموا بالرحلة الثامنة / رحلة المنفى والهجرة / فلاول مرة في تاريخ العراق الحديث يكون هناك حوالي اربعة ملايين مهاجر ومنفي .

في الفلم التلفزيوني / نصف ساعة / حاولت ان ارصد ذلك من خلال قراءة في موضوعة المنفى واللجوء العراقي .

حاولت ان ابين الاسباب الحقيقية للهجرة العراقية وهي اسباب غير اقتصادية كما يتصور البعض ويحاول ان يروج نظام صدام حسين بل كان الارهاب السياسي والاجتماعي من نظام ديكتاتوري سببا اساسيا ، وهكذا ليس غريبا ان اول المهاجرين كان مئات الكتاب والفنانين والمثقفين وتبعهم ممن لا يريد الموت لكونه يرفض ان يصفق لحزب صدام او أن يموت في حرب عدوانية ضد الجيران ولو سالتني الان ما هو جديدك ؟ لقلت لك إنه ربما جزء ثان من الفلم / حيث اعمل على انجاز فلم وثائقي جديد عن انطباعاتي / يكاد يكون بعنوان سري واعمل بعنوان مؤقت وهو عودة السندباد / حيث ارصد في الفلم الجديد الانطباعات عن عراق الخراب بسبب نظام صدام الدموي .

❖ إلى أي حد هو قريب من المواطن الفنلندي مم يحصل في العراق خصوصا و في العالم العربي عموما

الفنلنديون شعب مثقف / وليس غريبا ان فنلندا دائما في مقدمة الدول في عدد زائري المكتبات العامة / وفي المكتبات هناك كل الوسائل الممكنة لمتابعة احداث العالم / اريد القول الفنلديون يعرفون ما يجري / وبحكم عملي الصحافي ونشاطي الثقافي والسياسي ، تجولت كثيرا ولمست بيدي كيف يعرفون الكثير عن هموم الشعب العراقي وشعوب الشرق الاوسط / دائما اقول للفنلنديين ان بيننا مشتركات كثيرة / خاضوا حروبا مثلنا وقاسوا من احتلال وعاشوا حصارات وخوف وعانوا من ظلم / وهم شعب ليبرالي يهتم بحق وبجد بقضية حقوق الانسان/ ايضا فنلندا لا تملك تاريخاً استعماريا فهي لم تستعمر شعبا اخر ، وعليه لو تابعت نشاطات الجالية العربية لوجدتها دائمة ومستمرة وتحظى بالدعم لان هناك من يساندها ، واعلام فلسطين ترف دائمة في تظاهرات اليسار الفنلندي في كل مناسبة

طالبت بعدم قتل صدام

❖لا شك أنك تتابع محاكمة صدام ، ما موقفك من أطوارها؟

لو راجعت ارشيفي في الحوار المتمدن ستجدين اني وفي فترة هروب الديكتاتور صدام حسين كنت اطالب بعدم قتله والابقاء عليه حيا حتى لا يموت بطلا وانما ليقف امام محكمة عادلة وليدافع عن نفسه ، وانا سعيد جدا لطول جلسات المحكمة ففي كل دقيقة من جلوس السفاح صدام ذليلا في القفص امام القاضي وينادون عليه بكلمة " المتهم " اشعر باني كعراقي وكانسان عانى وفقد الكثير بسبب نظام صدام نلت بعضا من حقي ولا يهم بعد ذلك

قرار الحكم / انا لا اريد محاكمة صدام كشخص اريد محاكمة فكره الشوفيني الفاشي الذي انجب سفاحا مثله حتى لا يولد لنا يوم ما شبيه له في أية بقعة من العالم العربي/ ارجو الانتباه والتمييز بين تعبيري الفكر القومي والقومانجي .

السياسي عندي يزاحم المثقف

❖إلى أي مدى تشدك السياسة ؟ وما هي نشاطاتك في هذا الإطار؟

انا ناشط سياسي يساري التوجه واؤمن بالديمقراطية والمساواة والعدالة الاجتماعية والسلام / امارس نشاطاتي باشكال مختلفة ويشرفني ان مجلس الاحزاب السياسية العراقية الفاعلة في فنلندا وكشكل من تمثيل للجالية العراقية في فنلندا اختارني كمنسق لهم لثلاث دورات متتالية والنظام الداخلي ينص على انتخاب شخص كل ثلاث اشهر

وبسبب قساوة الاوضاع السياسية في العراق وشراسة الحكم الديكتاتوري المقبور كان نشاط المثقف بشكل عام يتراجع لصالح السياسي ، ولاني كنت اريد خدمة وطني بالفعل وليس فقط بالكلام لذا وجدت السياسي في داخلي كثيرا ما يزاحم المثقف ويتقدم عليه

❖ما أبلغ طموح إنساني لك؟

ان لا يضيع حق اي انسان ومنه العيش بكرامة وحياة افضل دائما

كلمة اخيرة

ستصدر لي قريبا رواية مترجمة الى اللغة الفنلندية والاتفاق ان تصدر اولا باللغة الفنلندية لاعتبارات فنية وبعدها ستصدر بالعربية ولغات اخرى منها الكوردية حيث تم الاتفاق على ترجمتها الى هذه اللغة ايضا ، الرواية اخذت مني اربع سنوات في البحث والعمل وانهيتها صيف العام الماضي وفيها حاولت ان اسلط الضوء على موضوعة حوار الحضارات من خلال مقاربات ميثولوجية وايضا من خلال رصد حياة العراقيين / عربا واكراداً / في فنلندا

الرواية من ترجمة استاذ في جامعة هلسنكي هو الدكتور ماركو يونتنين وهو الذي ترجم كتابي الاول عام ٢٠٠٠ .

بلاد مابين الموتين او ان.....

محمد النصار

.....

..... فكم عمرا سنحتاج لنكتب موسوعة المراثي

م ن

من قصيدة(قبل ان تستيقظ اوراق الخريف من حضن امها الريح)

بغداد-١٩٩٢

الى اسامة العقيلي ونصيف الناصري

ان تسقط غيمة حمراء

على شرفة جارك

فتقتل(لاسي)

مرة سابعة.

ان يتحول سطح المنزل الى مطر اسود تتشفى به اهة.

وتلال الثلج الى(سكتات) تسرق اصدقاءك.

ان تكتب انقراض الحواس

على جذع تتسلى به

موجتان

وفي يوم ماطر

تصنع تمثالا للدموع

ثم تدون على بطاقة لامك

ان السماء لا تزال بخير

طالما انهم لايخطفون النجوم

وان الملاك

ينسى الشتائم

التي يكيلها للهواء اعداؤه

فقد لايحظى بالبراءة في نهاية المطاف الا الظلام

وليس من عادة الرمل

تسقط اخبار العواصف

في الجهة الأخرى من الخراب

فما جدوى ان تستحضر صورة البطل

اذا كان التاريخ يستبد به الضجر

فيتخلى الاعمى عن الحكمة والنسيان:(

تنهش ذاكرة القرد حرباء

ويربي الطموح الاسود

شعوبا

على مزاولة التماثيل)

ان تذبل نظرة

لاتعرف الخيانة

ويصاب السر بالعمى.

ان يحملك هذا الشارع

الى رعد يفقد الذاكرة

فتتحسس اثار الفجر المبدد

ببقايا هتافات ساخرة

ان تعلن الببغاء توبتها من الاقفاص

وتتناساك

شجرة الحليب الوارفة:(

لان يوما لابد ان ياتي

حينما تقول السماء

هذا يكفي

فتضع حدا

لانشقاقات العبد

المطارد بالهاوية.)

ان تروي للأسد دعابة

تكلف فراشاتك بكاء مريرا

في واد.

ان تتيه الجياد

في ارياف صهباء

ويتنابز تماثلهم الاحفاد

بمتى المراة

المغطاة حتى الركبتين

بازهار الخشخاش.

ان تبذل الغنائم ما بوسعها

لمعاقبة شيطان لايؤمن بالنار:

(الورم الحاذق على غصن

يستعدي بقايا جدار

هارب من سجن

على زائرة طائشة)

.....

وليس الحياد

منزلة بين المصح وهذا الغراب المنهمك

بتعريب اقواس

ساخطة عليا الالغاز:(

الطوراني

في مغربان

تنخل نحلة قرطاسا.

.....

الاسطبل لبلاب زغزغ

فازدادت لعنات الماموث

على المهتار.

.....

اعتكال الاصلخ

حدث لان

الفريسيين

يتاجرون بفضائح اليعلول

في صحراء السائم

وسدى

يتنجنجون

فالحسك ابيقر

والاصلخ بطرير.

.....

بشهادة الهوبر

يتخاذل النسرين.

.....

لم يكن سيمونيا

ليحشا النار

بحذافيرها في عقل الاريب

.....

هذا الطريال الاملح

يتمضمض سمك القرش الاغزل

وحينما يتنضنضون

يبترون عضو البطرير

فيتمادى عليهم

الخروع والتين والخيزران.

واذا اخذنا الوروار

على عواهنه

فالامير

بشهادة الرعابة

ملحادة

يبحث عن فجر

ويفتض

الجرة

ليسكر كالخذروف

في ليل باشق

يدثره الاستبرق

بحمى جمارات تتهارش

بالنار

واذا ارطم احيانا

قالوا تهارم

لكنه غادر الرطائط

للابد والكرخانة

بعد ان شتع السفرجل

والضبع

وابليسه الذي تتسلى به الكروم

في ظلال الايوان

لكن في كل ميقات

ثمة كاروز

يتهيمر

في طربال

واسقنقورات

تفرخ ذهبا ماكرا

تتصافق به

الشيذمانات والرمال)

.....

.....

.....

.....

لان معاقبة الهواء

مجنونان يلتقيان بعد فراق طويل

قد يشبهان حياتي

ليسردا

على ارملتي الذكريات

اما المصادفات فقد انهكها سعال الريح

ففي ميدان

ملطخة قبابه بالسحابات الصفر

تشهد اصنام عديدة

لصالح اللاعب الماهر في تفريخ الاقنعة

كلما اطلق الاف الجثث

على سيد يضلع في هذه البيداء المنورة

بشموع المناحة

وقد باركتها

مسامرة نسر تائه

لملاك يتفرج

لانه انجب

هذه السلالة العريقة من الفقهاء

وهذا ما دونه احدهم قبيل غيبوبته الاخيرة:

الهجارس

ما همهم

ان العمارطة

سرقوا القاقوم

فالقهرم

الذي اصطبغت

الربيس التي تتدلى من عنقه بالعصفر

انذرهم عدة مرات

لكنهم

ظنوا انهم في كوفان

برغم النقيع

الذي كاد ان يهدم اسوار القصر

وبرغم الوطاويط التي هاعت

حتى تنيحت

في حضن القهقور المهجور

اما الراديولا

فعسا كالقلوب

وبين لعل وعسى

تشردت الامال كالسحائب

وتلعثمت

الكلمات

في شفاه الدردور)

.....

رايت تلالا من الثلج

ولم المح الخبراء الغامضين

فظلال الزمن الثقيلة

كانت تئن

عيناي كانتا تسعفان الضوء:(

صحارى تتجاذب الوجود والعدم

عمال بايد خشنة

لاتصلح لحفر ابار الكلام

لكنها تغبط قفازات الملكة

وتنتظر

تنتظر....

اهذه اعطال الروح ام عظاتها

لتسال عن جدوى الجداء

الملطخة بالاوسمة.)

.....

بالندم الذي لايظهر على الشاشة

بالعمى

الذي تؤوله الملائكة(لصالحهم)

احدق في السقف

احدق في باب الاله الغريب

وانا انحدر صوب المقبرة.

.....

الهروب الصعب يكمن في البقاء هناك.

.....

ما الذي تحتاجه الريح للوشاية بموتي

انا الذي انصت اعواما لاهاتها.

.....

لكنها خيوط الذهب الساقطة من شمس يتسولها المجانين.

.....

.....

.....

تكرير عمى

ام تهويل اصغاء

هذا الطفح السعيد

الذي تناديني باتجاهه الغابة الصفراء

.....

قطرات من الموت

تسقط على عقل اخضر

تشهره الورقة المبللة بالدم

اما المرايا

فسماوات تستحم بعطرها

طواويس بالوان شتى.

.....

على خيط الحرير الاحمر

تسيل بلاد ما بين الموتين.

.....

لم تكن

بقايا اجراس

لكن الملوك

اورثوها

دلمون.

.....

يشطر نهرا الى الفاظه

وفي غفلة من الامواج

يتفادى ذاكرته:(يسقط من اعلى السقف البارد

فتتلقفه شجرة هائلة

بينما عشرة طيور عميان

يبحثون

دون جدوى

عن طائرمذهب لاصق في عنق القبطان)

.....

باسم الاء تواريها كفارات كثيرة الشطط

يلتقط الاباء والبنون

صورة تذكارية اخيرة

خارج القلعة الحمراء

التي خر صريعا

امام بواباتها سلطان الكلام.